محمـــد الـــمـــنـــاعـــي.. وكـــلام مـــن ذهب

سألـنـي: حـوارك مـعـي.. هـل يـقـيـنـي هـجـيـر الـبـحـريـن؟

حوار: حافظ إمام ـ تصوير: جوزيف

عندما جلست للتحاور معه حول حياته وأسرارها.. بداياتها.. ومحطات توهجها.. وذكرياتها التي لا تنضب سألني: هل هذا للنشر؟ قلت: بالطبع نعم.. فحواراتنا دائما للنشر وما نتفق عليه ينشر وما لا نتفق على عدم نشره لا ننشره ملتزمين بعقد فيما بيننا تأكيدا لميثاق الأمانة الصحفية.

قال لي محاوري: تحت أي عنوان تكتب هذا الحوار قلت: لقد تعودت أن أنشر مثل هذه الحوارات تحت عنوان: عباقرة بحرينيون في الظل، وانتفض الرجل مرتعد الفرائص قائلا: هل تعتقد أنني أصبحت في الظل؟ انني مازلت أمارس حياتي بحيوية في مجال التجارة والشركات والمؤسسات والبنوك.. ولازلت على عهدي منذ البداية أتاجر في الذهب والمجوهرات واللؤلؤ وأنظم أعمالي مع رعيل من رجالات الاعمال وروادها في البحرين أمثال علي بن يوسف فخرو وأحمد فخرو وراشد الزياني وأحمد كانو وحسين يتيم عقودا من لآلئ الأعمال اسهمت في بناء اقتصاد البلاد بدءا من بنك البحرين الوطني وشركات مطاحن الدقيق والسينما والبنك الأهلي التجاري وبنك البحرين الاسلامي وبنك البحرين والكويت وشركات مساهمة أخرى عملنا معا من أجل انشائها وتنشيط حركة اقتصاد البحرين بها بمنتهى التجرد وبعيدا عن منافع ذاتية شخصية وقريبا من تحقيق المصلحة العليا للبلاد. وهذا شأن جيلنا وأجيال سبقته من أبناء البحرين المخلصين.

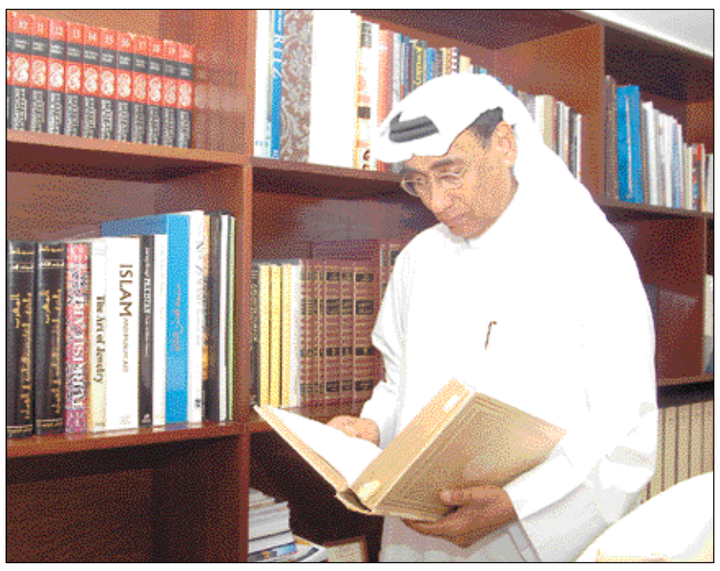

○ محمد المناعي يتأمل كتبه

حديث من ذهب

صحيح ـ يقول ـ محاوري رجل المال والاعمال.. الرجل الذي تلعب أصابعه في اللؤلؤ والذهب محمد عبدالله المناعي ـ ربما تقدمي في السن ـ ٧٠ سنة ـ قد دعاني الى التخلي عن بعض أنشطتي التجارية والبنكية قليلا.. لكن نظام عملي في الحياة مازال مستمرا.. أمارس دوري في بعض الشركات والبنوك والاعمال.. أتاجر في الذهب واللؤلؤ.. لكن هذا لا يعني أنني في الظل.. أو أنني تواريت جانبا عن مسئولياتي وأنشطتي التجارية، فاذا كنت تقصد بالعنوان المذكور أعلاه انني في ظل ظليل يقيني من هجير حرارة البحرين فأنا أوافقك؟.

ومع هذا القول علت ابتسامة وجه محمد المناعي ليبدأ حواراً متصلاً فيه حميمية وفيه فكر وذكريات لا تغيض لانها مازالت مستمرة.

وحديث محمد المناعي حديث من ذهب ليس لأنه يزنه بميزان العقل والرضا دائما وانما لانه يتميز بالصدق وعدم المغالاة في تقدير الذات.. انه حديث التواضع دائما. والتواضع مصدره الرضا.. ونعمة الرضا نعمة وهبة من الله فهو يؤمن ان كل شيء مقسوم.. بما في ذلك الارزاق ولذلك لا يجب ان يتطلع الانسان الى ما في يد سواه.. كثر أم قل، فالله يرزق من يشاء بغير حساب.

من الدرعية إلى قلالي

يقول محمد المناعي: لقد وهبنا الله هذه النعمة منذ أن تفتحت عيناي على الحياة في قرية قلالي بالجزء الشمالي الشرقي من المحرق.. هي قريتنا الوادعة التي أنشأها جدي سالم بن درويش المناعي.. جدي الخامس جاء من الدرعية في الجزيرة العربية منذ ٢٢٠ عاما وبالتحديد عام ١٧٨٠ وأنشأ قرية قلالي، وقلالي كانت قرية هادئة وادعة.. مثالا للنظافة والهدوء حتى ان المستشار بلجريف وزوجته عندما كان يحضر ضيوف الى البحرين يصطحبهم الى قرية قلالي باعتبارها قرية نموذجية شاهدة على نظافة قرى البحرين. فهي قرية كانت بعيدة عن المحرق والمنامة وكنا كي نصل الى المحرق أو المنامة نجد مشقة في ذلك.

وفي قلالي كانت البداية.. بداية النشأة وتحمل المسئولية الكاملة الأسرة، في قلالي ـ تعلمت تلاوة القرآن الكريم وحفظ أجزاء منه على يد المطوع.

يقول المناعي: وكانت سني أربع سنوات ولما بلغت السبع التحقت بمدرسة الحد الابتدائية. والمشوار من قلالي الى الحد يومها كان شاقا.. والدراسة على فترتين ولما كنت أكبر اخوتي الأربعة فقد شاء قدري أن أتحمل مسئولية الاسرة منذ الصغر، ففور حصولي على الشهادة الابتدائية اتصل عملي مع الوالد في تجارة اللؤلؤ.. كان الوالد طواشا، ومعه عشت أهوال البحر وتعلمت من هذه المهنة الصبر والحكمة.. في ريادة البحر واقتربت من معاناة غواصي اللؤلؤ وما يتعرضون له من مشاق.

تعلمت من تجارة اللؤلؤ

ومع والدي ذهبت الى الهند والتحقت بمعهد تعلمت فيه أصول مهنة تصميم وصناعة المجوهرات الى جانب الإلمام بمسك الدفاتر، وعند عودتي الى البحرين أسست محلا للؤلؤ والمجوهرات. كان ذلك عام ١٩٥٠ في شارع المتنبي بالمنامة.. وأتاح لي عملي بالقرب من والدي اقتحام أسرار هذه المهنة، كان والدي يسافر شتاء الى الهند ومعه اللؤلؤ حيث يتم تصنيع جزء منه ويبيع الجزء الآخر في الشام ومصر وتركيا ولبنان، وزاد نشاط الوالد في منطقة الخليج بعد ذلك في حقبة الخمسينيات وبالتحديد في الكويت والسعودية.

> ” تعلمت مهنة تصميم المجوهرات في سن الثانية عشرة “

ولأن نشاط الوالد كان متعددا وسفراته أيضا كثيرة أصبحت مسئولا عن ادارة الأسرة بكاملها ـ اخوتي الأربعة والوالدة والعمات والخالات منذ ان كانت سني الثانية عشرة. من هنا تحملت المسئولية وادارة أنماط مختلفة من العلاقات ومحاولة ارضاء الجميع.. وارضاء الجميع غاية لا تدرك دائما.

ويعترف محمد المناعي ان رحلات شراء اللؤلؤ وبيعه ومواسم الغوص لم تكن رحلات ترفيهية بل كانت رحلات صعبة عاشها منذ ان كانت سنه ثماني سنوات ومنها تعلم مهنة تجارة اللؤلؤ التي عشقها على الرغم مما تتطلبه من خبرة ومعرفة بأشكال وأحجام اللؤلؤ وأسعاره وأذواقه ونواحي الجمال والجلال في تكوينه في محاوره حتى خروج هذه الدرة الثمينة.

من ازدهار إلى ركود

ويروي المناعي ما مر به سوق تجارة اللؤلؤ من مراحل ضعف بسبب قلة الأسعار وبسبب المنافسة الخطيرة، من اللؤلؤ الزراعي الياباني، بالاضافة الى ما أفرزه اكتشاف النفط من بروز وظائف متعددة وأدى كل ذلك الى عزوف أعداد كبيرة عن الغوص وراء اللؤلؤ وعن مهنة الطواشة.

ويقول محمد المناعي: لقد كنت مدركا أن اللؤلؤ لن يدوم امتداد للجيل القادم من العائلة، لذلك قررت أن أضم إلى نشاطاتي في اللؤلؤ المجوهرات وطلبت من الوالد ذلك حتى تستمر التجارة وبفضله استمرت تجارتنا الى اليوم الا أنني آثرت ألا يعمل أبنائي في نفس المجال فلدي ولدان وثلاث بنات وحفدة.. الابن الاكبر طلال اختار العمل في تجارة السياراة أما فواز فاختار الاشتغال بالتجارة العامة.

العشق أساس النجاح

ويعترف المناعي انه يعشق مهنة الذهب والمجوهرات الى الآن وعلى مدى ٥٥ عاما. ويقول: انه كي تنجح في أي مهنة لابد ان تعشقها وليس فقط ان تحبها، ولقد ارتبطت بهذه المهنة بحكم تخصصي في تصميم الذهب وتصميم الذهب مرتبط بالذوق العام والذوق الخاص، وقد تطور هذا الذوق مع تطور الحياة الاقتصادية ومتغيراتها، فمنذ اكتشاف الثروة النفطية في الخليج تحكم في البداية الذوق الذي يعنى باقتناء حجم كبير من المجوهرات تعبيرا عن الثروة والوجاهة في بداية الثروة النفطية.. وأذكر في هذا المجال ان طلب مني أحد الزبائن من الخليجيين عمل عقد كبير جدا من اللؤلؤ. يبلغ طوله من ٧٠ الى ٧٥ سنتيمررا ومحلى بكميات كثيرة من الذهب والالماس.. وأثناء إعداد العقد دخل علي تاجر من نجد فلفت انتباهه ضخامة العقد.. قائلا: كيف يتحرك صاحب العقد بهذا الشغل.. ومن الأفضل لو طلب حبة من اللؤلؤ أو عقدا راقيا.

من الوجاهة إلى الذوق

ويفسر المناعي ذلك برغبة المرأة الخليجية في بدايات اكتشاف النفط وثرواته في الانتقال فجأة الى الوجاهة التي مظهرها الاساسي بكبر حجم الذهب لكن الذوق بدأ بعد ذلك يتغير الى الاحجام الصغيرة ذات الذوق الرفيع والقيمة الغالية نتيجة لتغير ذوق المرأة واندماجها مع الآخرين ودخولها ميدان التعليم وقيامها بالسفر والترحال.

وفي احدى المرات ـ يقول محمد المناعي ـ حضرت الى البحرين كاتبة انجليزية لتجري بحثا عن المشغولات الفضية والذهبية في الخليج وسألتني قائلة: لقد اكتشفت من خلال بحثي أن البحرين هي عاصمة اللؤلؤ وان سكان البحرين كانوا هم الأغنى في منطقة الخليج لكن ما ألاحظه الآن هو خلو مجوهرات البحرين من اللؤلؤ؟!

فقلت لها مفسرا محللا: أعتقد ان سبب ذلك راجع الى كراهية المرأة البحرينية للبحر الذي كان يخطف رجالها أيام الغوص ويعرضهم للمتاعب والصعاب لذلك فانها تكره أي شيء يمت الى البحر بصلة حتى لو كان اللؤلؤ.. ولذلك تلاحظين ان مجوهرات الاسر الثرية تكاد تخلو من حبات اللؤلؤ.

المرأة والذهب نقطتا ضعف

ويوافقني المناعي فيما ذهب اليه مثل شائع يقول: «تمتحن المرأة بالذهب ويمتحن الرجل بالمرأة».. ويقول ان الاثنين يشكلان نقطة ضعف.

والمرأة دائما يتطور ذوقها وتعلقها بالذهب.. ويقول: لقد تدرجت تصميمات المشغولات الذهبية في البحرين، وكان الذهب دائما متميزاً فيها صناعة وجودة وتصميماً وحظي ذهب البحرين بالثناء الاكثر عما سواه من مشغولات المنطقة، لكن الاحتفاظ بهذه الميزة يتطلب جهدا تسويقيا مضاعفا هذه الايام مع كثرة المنافسين وكثرة مصانع المشغولات الذهبية في الخليج، فالبحرين كانت متميزة دائما بالذهب ولم يأت هذا من فراغ لان تصاميم الذهب متطورة مع الاحتفاظ بالجودة والنقاوة، ولان البحرين أول من بدأ في صناعة الذهب في الخليج منذ نحو ٢٥٠ سنة.

قلت للمناعي: أنت تاجر «شاطر» فهل التجارة شطارة.. مجرد شطارة أو تدخل فيها الصدفة أيضا؟

يقول الرجل بثقة: التجارة أولا مهنة يتجه اليها الانسان القادر عليها فاذا لم يعشقها فلن يكون قادرا عليها ولن يحقق النجاح فيها.. والعشق هو الاساس للنجاح في أي مهنة.. أنا عشقت هذه المهنة ولي اخوة آخرون آثروا مهنا أخرى ثلاثة منهم اختاروا الهندسة وواحد فقط رجل أعمال.. ولعل هذا يسفر عملي بنشاط في مهنة المجوهرات حتى الآن.

هيكلة سوق العمل ـ حركة وبركة

وأسأل المناعي عن رؤيته لمشروع اعادة هيكلة سوق العمل والضجة المثارة حوله ويقول الرجل: لا شك ان هذه الحركة ـ مثلها مثل أي حركة ـ فيها بركة وما نسمعه الآن من صوت عال ظاهرة صحية تبشر بالخير.. فالركود يعني النهاية.. والحركة فيها بركة كما قلت. وما نسمعه الآن من تأييد ومعارضة دليل صحة.. فاذا خلصت النوايا وهي بالتأكيد خالصة. فان ذلك سيحقق في النهاية دفعة لاقتصادنا الوطني.. فالتوجه الحالي وخطواته صحيحة ونحن جميعا ننطلق الى الافضل بكل تأكيد.. سواء تمثل ذلك في تقنين العمالة الاجنبية وتدريب وتعليم العمالة الوطنية واعدادها وتغيير القوانين والتشريعات وانشاء الصناديق.

السجاد القديم هواية

وبالرغم من ان محمد المناعي شارفت سنه على السبعين عاما الا ان عشقه لمهنته لم ينسه هواياته الاثيرة ـ جمع السجاد القديم النادر ـ شراء الكتب القديمة، ممارسة رياضة السباحة وادمان الرحلات المستمرة مع رفيقة عمره.. ومن بين الكتب التي يطالعها الآن كتاب أهداه اليه المؤلف صديقه الدكتور علي السمان مراسل جريدة الاهرام السابق في فرنسا. الكتاب يحمل عنوان: «من الملك الى عبدالناصر والسادات».. الكتاب مثير غني بالاسرار كما يقول المناعي، لذلك أعكف على قراءته.. أما كتابي الاثير رفيقي في الحياة فهو القرآن الكريم.. لا نفارقه ولا يفارقنا.. وهو سر أسرار ما أتمتع به من ستر في حياتي ومصدر قوتي التي لا تكلني الى غير الله مع الايمان أن أكون دائما قويا حتى لا أوكل.. ولان محمد المناعي كان عضوا في مجلس الشورى على مدى دورتين كاملتين منذ تأسيسه فانه يقيم التجربة الديمقراطية في البحرين مؤكدا انها سجلت بدايات صحيحة على يد الملك المفدى الذي توجها بالعدالة والتوجيه الصحيح متفائلا بأن تكتمل مسيرة البناء الديمقراطي عملا بمنطق التطور وتأكيدا لطموح القيادة السياسية وتطلعات الشعب.

> ” صحيح.. تمتحن المرأة بالذهب ويمتحن الرجل بالمرأة.. “

من الدرعية إلى قلالي جاء جدنا الخامس

لماذا آثرت مهنة الطواشة وتجارة المجوهرات

○ في لقاء مع الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش.

عندما انحسر سوق اللؤلؤ ساندناه بالمجوهرات

البحرين مازالت رائدة في صياغة الذهب.. لكن

في بدايات اكتشاف النفط عشقت المرأة الأحجام الكبيرة من الذهب.. لماذا؟

○ حوار أخبار الخليج مع رجل الؤلؤ والمجوهرات.